النقائض

٢٠١٥-٢٠١٦م

تقديم الطالب: أحمد بشلاوي

بإشراف المعلمة: ريم حيدر

المادّة: لغة عربيّة

[العنوان الفرعي للمستند]

MEDIA2

النَّقَائِضْ

نشأتُهَا–أشهرُ شُعَرَاْئِهَا–الهَدَفُ مِنْهَاْ

المقدّمة:

لَقَد كَانَ العَصرُ الأُمَويُّ عَصرَ امتِزَاجِ العَرَبِ بِغَيرِهم منَ الأُمَم وَانسياحِهم في مشارِقِ الأَرضِ ومغارِبِها مِمّا أذكَى في نُفوسِهِم جذوَةَ الشّعرِ فإذا هو يَحْيَى في أوطانٍ جديدةٍ حياةً خصبةً ولا اقصدُ الكوفَةَ ومصرَ والشّامَ والبصرةَ فحسب بل خراسان أيضاَ والكثيرَ منَ البلدانِ العربيَّةِ الَّتي أهملَها مؤرِّخو أدبنا.

وقد نشأَت ونمت وتطورت في هذهِ الفترةِ العديدُ من الأنواعِ الشّعريةِ ومنها النّقائضُ الَّتي سأتحدّثُ عنها في بحثي.

الفصلُ الأوّل: أشهرُ شعراءِ النّقائض

الفَرَزْدَقْ ١١٠/٣٨هجري ٧٢٨/٦٥٨ميلادي

هوَ هَمَّام بن غالب بن صعصعة التّميمي الدّرامي الشّهيرُ بالفرزدقِ

شاعرٌ منَ النّبلاءِ من أهلِ البصرةِ عظيمُ الأثرِ في اللُّغةِ. فقد كانَ يقال: لولا شِعرُ الفرزدقِ لذهبَ ثلثُ لغةِ العربِ ولولا شعرهُ لذهبَ نصفُ أخبارِ النَّاسِ.

يشبَّهُ بزهَير بن أبي سُلمةَ وكلاهما من شعراءِ الطّبقةِ الأولى، زهير في الجّاهليين والفرزدقُ في الإسلاميين، وهو صاحبُ الأخبارِ مع جرير والأخطل ومهاجاتهُ لهما أشهرُ من أن تذكر.

كانَ شريفاً في قومهِ عزيزَ الجّانبِ يحمي من يستجيرُ بقبرِ أبيهِ وهوَ منَ الأجوادِ الأشرافِ وكذلك جدّه.

كُتِبَ في شرحِ نهجِ البلاغةِ: كانَ الفرزدقُ لا ينشدُ بينَ يدي الخلفاءِ والأمراءِ إلّا جالساً، وأرادَ سليمان بن عبد الملك أن يقيمهُ فثارت طائفةٌ من تميم فأذنَ لهُ بالجُّلوسِ وقد جُمِعَ بعضُ شعرهِ في (ديوان–ط)، ومن أمّهاتِ الكتبِ والأخبار (نقائض جرير والفرزدق–ط) ثلاثةُ مجلداتٍ.

كانَ يكنّى في شبابهِ بأبي مكّيّة وهي ابنةٌ لهُ، ولقّبَ بالفرزدقِ لجهامةِ وجههِ وغلظهِ، وتوفّيَ في باديةِ البصرة وقد قاربَ المئة وأخبارهُ كثيرةٌ، وكانَ يشتهرُ بالنّساءِ، وليسَ لهُ بيتٌ واحدٌ في النّسيبِ مذكور.

وممّا كتبَ في أخبارهِ (الفرزدق–ط) لخليل مردم بك ومثلهُ لحنّا نمر ولفؤاد أفرام البستاني.

جرير ٢٨–١١٠هجري ٦٤٨–٧٢٨ميلادي

جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي من تميم يكنّى بأبي حَزْرَة

أشهرُ أهلِ عصرهِ، ولدَ وماتَ في اليمامةِ وعاشَ عمرهُ كلّهُ يناضلُ شعراءَ زمنهِ ويساجلهم.

كانَ هَجاؤهُ مرّاً فلم يثبت أمامهُ غيرُ الفرزدق والأخطل، وكانَ عفيفاً وهوَ من أغزلِ النّاسِ شعراً، وقد جُمِعَتْ نقائضهُ معَ الفرزدقِ في ثلاثةِ أجزاءٍ، وأخبارهُ مع الشّعراءِ وغيرهم كثيرةٌ جدّاً.

الأخطل ١٩-٩٠هجري ٦٤٠-٧٠٨ميلادي

هو غياث بن عوث بن الصلت بن طارقة، ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك.

شاعرٌ مصقولُ الألفاظِ حسنُ الديباجةِ في شعرهِ إبداعٌ، اشتهرَ في عهد بني أميّةَ بالشّامِ، وأكثرُ من مدحَ ملوكهم، وهوَ أحدُ الثّلاثةِ المتّفقُ على أنّهم أشهر أهلِ عصرهِم(جرير-الفرزدق-الأخطل).

نشأَ على المسيحيّةِ في أطرافِ الحيرةِ بالعراق، واتصلَ بالأمويّين فكانَ شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق فتناقلَ الرواةُ شِعرهُ وكانَ معجباً بأدبهِ، تيّاهاً، كثيرَ العناية بِشعرهِ، ينظِّمُ القصيدةَ ثم يسقطُ ثلثيها ويُظْهِرُ مختارها، وكانت إقامتهُ طوراً في دمشق مقرِّ الخلفاءِ من بني أميّةَ، وحيناً في الجزيرةِ حيثُ يقيمُ بني تغلب (قومه). وأخبارهُ معَ الشّعراءِ والخلفاءِ كثيرة له، (ديوان شعر-ط) ولعبدِ الرّحيمِ بن محمود مصطفى (رأسُ الأدبِ المكلّلِ في حياةِ الأخطلِ-ط) ولفؤاد البستاني (الاخطل-ط) ومثلهُ لحنا نمر.

الفصلُ الثّاني: النّشأة

هيّأَ استعارُ العصبياتِ في البصرة وخراسان لاشتعالِ الهجاءِ طوالَ هذا العصر كما هيّأ لنموِّ فنِّ النّقائضِ نموّاً واسعاً وقد كانَ لهذا النّموِّ أسبابٌ كثيرةٌ يرجعُ بعضها إلى عواملَ اجتماعيّةٍ وبعضها إلى عواملَ عقليّة.

٠أمّا العواملُ الاجتماعيّةُ فترجعُ إلى حاجةِ المجتمعِ العربيِّ في البصرةِ إلى ضربٍ منَ الملاهي، يقطعُ بهِ النَّاسُ أوقاتَ فراغهمُ الطويلةَ، فدائماً حينَ تنشأُ المدنُ تنشأُ معها أوقاتُ فراغٍ تبعثُ أهلها على ملئِها إمّا بالدّرسِ والنّظرِ العقليِّ، وإمّا بلهوٍ يختلفونَ فيهِ.

وفعلاً نهضت دراساتٌ دينيّةٌ وعقليّةٌ مختلفةٌ، وكانَ لا بدَّ أن ينشأَ إلى جانبها نوعٌ من أنواعِ التسليةِ والترفيهِ، فأقبلت مكّةُ والمدينة على الغناءِ ولكنَّ قبائلَ العراقِ لم تتَّجه في هذا الاتِّجاهِ أذ كانت شديدةَ الصلةِ بحياتها البدويَّةِ القديمةِ، وأخذت نيرانُ الهجاءِ فيها تشتعلُ اشتعالاً شديداً، حينئذ انبرى الهجّاؤونَ يملأونَ أوقاتَ النّاسِ هناكَ بأهاجيهم وسرعانَ ما تحولوا بها إلى نقائضَ مثيرةٍ، فشاعرُ قبيلةٍ ما ينظُمُ قصيدةً في

الفخرِ بقبيلتهِ وأبحارِها ويتعرضُ لخصومها منَ القبائلِ الأخرى، *فينبري لهُ شاعرٌ من شعراءِ تلكَ القبائل يردُّ عليهِ بقصيدةٍ على وزنِ قصيدتهِ ورَوِيّها كأَنَّهُ يريدُ أن يظهرَ تفوّقهُ على الشّاعرِ الآخر من ناحيةِ المعاني ومن ناحيةِ الفنِّ نفسهِ ويتجمّعُ النّاسُ حولهما يهتفونَ ويصفّقونَ ويصيحونَ، وبذلك تحوّلتِ النّقائضُ من غايةِ الهجاءِ الخالصِ إلى غايةٍ جديدةٍ وهي سدُّ حاجةِ الجماعةِ الجديدةِ في البصرى لملءِ أوقاتِ فراغِهم الطّويلةِ، وتدخّلت في صنعِ النّقائضِ بجانبِ هذهِ العواملِ الاجتماعيّةِ عواملٌ عقليّةٌ مردّها إلى نموِّ العقلِ العربيِّ ومرانهُ الواسع على الحوارِ والجدلِ والمناظرةِ في النِّحَلْ السياسيّةِ والعقيديّةِ وفي الفقهِ وشؤونِ التّشريعِ.

وعلى ضوءٍ من ذلكَ كلّهِ أخذَ شعراءُ النّقائضِ يتناظرونَ في حقائقِ القبائلِ ومفاخرها ومثالها، وكلٌّ منهم يدرسُ موضوعهُ دراسةً دقيقةً، ويبحثُ في أدلّتهِ ليوثقها وفي أدلّةِ خصمهِ لينقضها دليلاً دليلاً، وكأنّنا أصبحنا بإزاءِ مناظراتٍ شعريّةٍ وهي مناظراتٌ كانت تتخذُ سوقَ المِرْبَدِ مسرحاً لها فالشّعراءِ يذهبونَ إلى السّوقِ ويذهبُ النّاسُ إليهم ويتحلّقونَ من حولهم ليروا من تكونُ لهُ الغلبةُ على زميلهِ أو زملائهِ.

وأهمُّ من وقفوا حياتهم على تنميةِ تلكَ النّقائضِ القبليّةِ مستلهمينَ فيها ظروفَ العصرِ وأحداثهُ السياسيّةَ هم الشّعراءُ الذينَ أتيتُ على ذكرهم سابقاً وهم (جرير والفرزدق والأخطل).

الفصل الثالث: جرير والفرزدق

لقد بقيَ جرير والفرزدق يتناظرانِ نحوَ خمسةٍ وأربعينَ عاماً في عشيرتيهما من جهةٍ وفي قيس وتميم من جهةٍ أخرى، ولكنَّ ظروفاً كثيرةً جعلت جريراً يقفُ في صفوفِ قيس محامياً عنها ضدَّ خصومِها، وذلك لأنَّ عشيرتهُ اليربوعيّةَ أسرعت بالبيعة لابن الزبير فاتفق هوى عشيرتهِ مع هوى قيس، وتصادفَ أن كانَ قد قتلَ مجاشعيٌّ الزبير بن العوام حينَ لجأَ بعدَ موقعةِ الجملِ إلى مجاشع، وأيضاً تصادفَ أن لجأت النّوّار زوجُ الفرزدق حينَ غاضبتهُ إلى ابن الزبيرِ فأعانها عليهِ مما جعلَ الفرزدقَ يهجوهُ*.

وعندما نصلُ إلى حُكمِ القَباعِ وإلى ابنِ الزّبيرِ على البصرةِ سنةَ ٦٦هجري نجدُ أنَّ الشّاعرينُ ملتحمانِ في مناظرةٍ، ويدلُّ على ذلك أنّنا نجدهما في نقيضتين لهما يعلنان نكيرهما على هذا الوالي إذ أمرَ بهدمِ بيتهما لما يثيرانِ من ضغائن بينَ القبائلِ **، ويقولُ الرّواةُ أنَّ سببّ التحامهما أنَّ شاعراً من عشيرةِ سليط اليربوعيّة يدعى غسّاناً هجا جريراً فسقطَ عليهِ جرير بهجاءٍ مرير، فاستغاثَ منهُ بالبعيث ***، المجاشعي فأغاثه، فصبَّ جرير عليه وعلى مجاشع شواظ نار وأفحشَ بنسائهم إفحاشاً شديداً

جعلهنَّ يستغثنَ منهُ بالفرزدقِ، فهجا جريراً واستطارَ الهجاءُ بينهما وامتدّا به لا إلى عشيرتيهما فحسب بل إلى قيس وتغلب وتميم.

وبذلكَ تكاملت حلقاتُ هذهِ المناظرةِ العنيفةِ بينَ الشَّاعرين.

---

*أغاني /دار الكتب ٣٢٤/٩ وما بعدها.

**شرح النقائض لأبي عبيدة (طبعة بيفن) ص٦٠٧ و٦٨٣.

***ترجمة البعيث بن سلام ص٣٢٦ وما بعدها.

ولكنَّ الكثيرَ منَ الشّعراءِ كانَ ينزلقُ متحيّزاً معَ الفرزدقِ على جرير، فكانَ يشوي وجوههم ووجوه عشائِرَهم بنيرانِ هجائهِ، فينسحبونَ منهزمينَ على شاكلةِ الرّاعي*، وكانَ من سوءِ حظِّ جرير أن فُضِّلَ الفرزدقُ عليهِ بقولهِ:

يا صاحبيَّ دنا الرَّوَاحُ فسيرا غلب الفرزدق في الهجاءِ جريرا

فنظمَ جرير قصيدةً هجا الرّاعي والفرزدق بها، ويقولُ الرّواة أنّه بقي يعدّها حتّى علمَ أنَّ النَّاسَ قد جلسوا مجالسهم بالمِرْبَدِ، وكانَ لهُ مجلسٌ، وللفرزدقِ مجلسٌ، فدعا بدهن (طيب) فادّهن وكفَّ** رأسهُ وكانَ حسنَ الشَّعْرِ ثمَّ قال يا غلام أسرج لي ثمَّ قصدَ مجلسَ الفرزدقِ والرّاعي فهجا الرّاعي هجاءً جعلهُ ينسحبُ منَ المجلسِ يعلوه الخزى.

ومن يرجعُ لشرحِ أبي عبيدةَ لنقائضهما نجدهُ يستعينُ على شرحهِ لها بأيّامِ العربِ، ذلكَ لأنَّ الشّاعرين لم يتركا يوماً للقبائلِ الّتي يتحدّثانِ عنها دونَ أن يذكراهُ، فجرير يتحدّثُ عن أيّامِ يربوع وقيس، والفرزدق يتحدّثُ عن أيّامِ مجاشع وتميم، فالشّاعران لم يتحدّثا عن الجاهليّةِ فحسب بل تحدّثا أيضاً عن أيّامِ الإسلامِ وخاصّةً ما كانَ بينَ قيس وتميم في خراسان، إذ دفعت تميماً الحوادثَ هناكَ لكي تتكلَ بعبدِ اللّهِ بن خازم وإلى ابنِ الزّبيرِ حينَ ثارَ على عبد الملك بعد قتلِ مصعب، كما نكّلت بقتيبة بن مسلم الباهلي حينَ ثارَ على سليمانَ بن عبدِ الملك، ومعنى ذلك أنَّ جريرا والفرزدق درسا تاريخَ القبائلِ العربيّةِ في الجاهليّةِ والإسلامِ دراسةً عميقةً ولم يكن الشّاعرُ يدرسُ تاريخَ القبائلِ الّتي يدافعُ عنها فحسب بل كانَ أيضاً يدرسُ تاريخَ القبائلِ الّتي يهجوها ليقفَ على الأيّامِ الّتي انهزمت فيها حتّى ينشرَ مخازيها بينَ النّاسِ. ولم تكن النّقائض فقط تحتوي فخراً وهجاءً بل كانت أيضاً تحوي نسيباً ومديحاً.

---

*انظر في ترجمة الراعي بن سلام ص٣٧٢و ٤٣٤

**كفَّ رأسه: جمع شعره وضمّ أطرافه

وبذلكَ كلّهُ أصبحت النّقيضةُ عندَ جرير والفرزدق عملاً فنّيّاً معقّداً ولعلَّ منَ الخيرِ أن نقفَ عند نقيضتين للشّاعرين نرى فيهما جملةَ ما كانا يعرضان منَ المعاني ونحنُ نختارُ للفرزدقِ نقيضتهُ:

تَحنُّ بزوراءِ المدينةِ ناقتي حنينَ عَجُولٍ تبتغي البوَّ رائم*.

وهوَ في غزلها يستشعرُ الإسلامَ خائفاً وجلاً من يوم الحسابِ ونراهُ يعتذرُ عمّا قد بدر منه من أشعارٍ تصوّره فاسقاً، وإنّه ليقول:

ولستَ بمأخوذٍ بلغوٍ تقوله إذا لم تعمَّد عاقدات العزائمِ.

وهوَ يشيرُ بذلكَ إلى قولهِ تعالى: (لا يؤاخذكم اللهُ باللَّغوِ في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الإيمان) ويمضي فيمدح سليمان بن عبد الملك بمثل قولِهِ:

جُعِلتَ لأهلِ الأرضِ نوراً ورحمةً وعدلاً وغَيْث المُغْبَرَاتِ القواتمِ**.

وخرجَ الفرزدقُ من ذلكَ إلى قتيبةَ بن مسلم الباهلي وثورتهِ على سليمان بخراسان، وافتخرَ بأنَّ تميماً بزعامةِ وكيع بن أبي سُود هي الّتي قضت عليه.

ومضى يكيلُ لقيس وشاعرها جرير هجاءً مريراً، متعرضاً لثورةِ ابن خازم وقضاءِ تميم عليه ولأيّام تغلب على قيس في الجزيرة. ويتجسّمُ لهُ جرير كأنّهُ قيس نفسها فيقول:

وألقيتَ من كفّيكَ حبل جماعةٍ وطاعةَ مهديٍّ شديد النّقائمِ***.

---

*البو: جلد ولد الناقة يحشى، ويعرض على أمه فترأمه أي تحن إليه ظنّاً منها أنه ولدها حقيقة.

**المغبرات القواتم: السنوات المجدبة.

***المهدي هنا سليمان بن عبد الملك، لقبه المهدي كما يلقب الشيعة أئمّتهم.

ويسمّي أصحابَ قتيبةَ مشركين، ويعيّر جريراً بما يأخذُ من هدايا قيس، ويفتخرُ على صاحبهِ فخراً عارماً بتميم وأيامها في الجاهليّةِ وأمجادها العريقةِ في الحروبِ، ويهجو عشيرةَ جرير برعيها الحمير، ومن ثمَّ يسمّيه ابن المراغة(الأتان) فهم ليسوا فرساناً ولا أهلَ خيلٍ وحروب، ويقول:

فيا عجباً حتّى كليبٌ تسبّني وكانت كليبٌ مَدرَجاً للشّتائم.

ودائماً يصفُ كليب باللّؤمِ والدّناءةِ ويفحشُ في النّيلِ من نسائها ومن أمِّ جرير خاصّةً ولا يتركُ مذمّةً إلّا يلفحُ بها جريراً وعشيرتهُ وفيها يقولُ من نقيضةً أخرى:

ولو ترمى بلؤمِ بني كليبٍ نجومُ اللّيلِ ما وضحت لسارٍ

ولو يرمى بلؤمهم نهارٌ لدنّسَ لؤمهم وضحَ النهارِ

وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجارِ

ووقفَ جرير في الصّفِّ المقابلِ يردُّ عليهِ نقيضتهُ الّتي لحظناها آنفاً، فمضى يتحدّثُ عن الفرزدق وفسقهِ الّذي اشتهرَ به ويقول:

لقد ولدت أمُّ الفرزدقِ فاجراً وجاءت بِوَزْوَازٍ قصيرِ القوائمِ*

وما كانَ جارٌ للفرزدقِ مسلمٌ ليأمنَ قرداً ليلهُ غيرَ نائم

أتيتَ حدود اللّه مذ أنتَ يافعٌ وشبتَ فما ينهاكَ شيبُ اللهازمِ**

تتبّع في الماخورِ كلَّ مربيةٍ ولستَ بأهلِ المحصناتِ الكرائم***

---

*الوزواز: كناية عن القصر

**اللّهازم: أصول اللّحية

***المحصنات: العفيفات

وتصادفَ أنَّ جرير والفرزدق يصحبانِ سليمان بن عبدِ الملك في أثناءِ حجّة لهُ، فجاؤوهُ بأسرى من الرومِ فأمرَ بحزِّ حلاقمهم وأعطى لبعضٍ من صحبوهُ سيوفاً يضربونَ بها رؤوسَ هؤلاءِ الرّومِ، وعرفَ بعضُ القيسيّينَ أنّهُ سيطلبُ إلى الفرزدقِ أن يضربَ أحدهم فدسّوا له سيفاً كليلاً لا يقطعُ فلمّا ضربَ بهِ لم يصنع شيئاً في الرّومي وانتهزها جرير فكانَ يكرّر له هذا الحادث ليضحكَ أهلُ المربد عليهِ بما يصوّرهُ من خورهِ وجبنهِ ثمَّ يقولُ لهُ الفرزدق في نقيضتهِ:

فهل ضربةُ الروميّ جاعلةٌ لكم أباً عن كليبٍ أو أبا مثل دارم

فيردُّ جرير عليهِ بمثلِ قولهِ:

بسيفِ أبي رغوانَ سيفُ مجاشع ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالم*

ضربتَ بهِ عندَ الإمامِ فأرعشت يداكَ وقالوا مُحدَث غير صارم

ضربتَ بهِ عرقوبَ نابٍ بصوأرٍ ولا تضربونَ البيضَ تحتَ الغنائم**

عنيفٌ بهزِّ السّيف قين مجاشع رفيقٌ بأخرات الفؤوسِ الكرازم***

وكانَ الفرزدقُ كثيرَ الافتخارِ بيومٍ صوءر، وهوَ يومٌ نحرَ فيهِ أبوهُ غالب للنّاسِ مئةَ بعيرٍ وقيلَ أربعمائةٍ، فجلّلَ لهُ جرير هذهِ المكرمةَ بعارِ الجبنِ فأبوهُ وهوَ إنّما يضربانِ عراقيبَ الأبلِ لا صدورَ الفرسانِ، ويقولُ لهُ إنّك قَيْنٌ لا تحسنُ الضّربَ بالسّيفِ، بل تفزعُ وتهلعُ حينَ تمسكُ بهِ، إنّما تحسنُ الإمساكَ بالفؤوسِ فهي صناعتكَ ولكنَّ هناك أمرً قد اثارَ غيظَ جرير إلى حدٍّ كبير وهوَ انضمامهُ إلى الأخطلِ النّصرانيِّ ضدّهُ

---

*ابن ظالم: هو الحارث بن ظالم المرى أحد فرسان قيس في الجاهليّة.

**الناب: الناقة المسنّة. البيض: خوذ المحاربين. الغماغم: أصوات الجيوش جمع غمغمة.

***أخرات جمع خرت وهو الثقب في أعلى الفأس. الكرازم: الفؤوس ضخمة الرؤوس.

فأخذَ يُضحكُ عليهِ سامعيهِ في المِربَد بمثلِ قولهِ:

وإنّكَ لو تعطي الفرزدقَ درهماً على دينِ نصرانيّةٍ لتنصّرا

وقولهُ:

هوَ القينُ وابنُ القينِ لا قينَ مثلهُ لفطحِ المساحى أو لجدلِ الأداهم*

وقولهُ:

ورقّع لجدّكَ أكيارهُ وأصلح متاعك لا تفسد

وأدنِ العَلاةَ وأدنِ القَدومَ ووسّع لكيركَ في المقعدِ

وكان جرير يعرفُ كيفَ يستخرجُ من كلِّ شيءٍ هذا العنصرَ من عناصرِ الإضحاك.

---

*فطح المساحى: تسويتها وتعريضها. الجدل: التسوية. الأداهم: جمع أدهم وهو القيد.

الفصل الرابع: جرير والأخطل

وساقت الظروفُ الأخطل شاعر تغلب ليصطدمَ بجرير شاعر قيس ومحاميها المناضل والمدافعِ عنها، وكانَ الاخطلُ يهاجي قيساً في الحروبِ الّتي نشبت بينها وبينَ قبيلتهِ منذُ موقعةِ مرج راهط سنة ٦٥هجري وكانَ شعراؤها يردّونَ عليه فيفحمهم بأهاجيه المقذعة. وشاءَت المقاديرُ أن يلمَّ بالعراقِ في ولايةِ بشر بن مروان فاصطدمَ هناكَ بجرير. وكانَ منَ الطبيعيِّ أن يفضلَ الأخطلَ الفرزدق وينحازَ لهُ ضدَّ شاعرِ قيس، ولكنَّ منشأَ التفضيلِ لم يكن الحكمَ الفنّيَّ بل كانَ الخصومةَ العنيفةَ بينَ تغلب وقيس وسرعانَ ما استطارَ الهجاءُ بينَ الشّاعرينِ، وإذ بهما يخلّفان طائفةً كبيرةً منَ النقائضِ جمعها أبو تمّام* وقد ظلّا ينظمانها منذ سنة ٧٣ إلى أن توفّيَ الأخطل سنةَ ٩٣ وهوَ يعدُّ مع جرير والفرزدق فحولَ الشِّعر في هذا العصرِ.

وجميعُ الظواهرِ الّتي لاحظناها في نقائض جرير والفرزدق نجدها مجسّمةً في نقائض جرير والأخطل، فكلاهما يعنيان بتاريخِ القبائلِ في الجاهليّةِ والإسلام وهما يخلطانِ العصبيّةَ بالسّياسة وقد ساقت الظروف تغلب لتقف في صفوف بني أميّة ضد قيس كما ساقت الأخطل التغلّبي ليكون شاعر بني أميّة منذُ عصرِ معاوية ولسانهم الناطقُ في الجزيرةِ والعراقِ وربما كانت قصيدةُ (خفّ القطبين) للأخطل أروعَ نقائضهِ مع جرير ونراه يستهلّها بالنَّسيب ووصفِ حزنهِ لفراقِ أحبّتهِ، وهوَ يتبعهم طرفة مولّها، حتّى يشبّهَ نفسهُ بالسّكرانِ المنتشي، ويصفَ الخمرَ وصفاً قصيراً، وهو موضوعٌ لم يكن جرير ولا الفرزدق يلمّانِ بهِ لتحريمِ الإسلام الخمر ولكنَّ الأخطلَ كانَ نصرانيّاً فانفردَ بهذا الموضوعِ في شعرهِ على أنّهُ لم يطنب فيهِ هنا، فقد تركه إلى وصفِ ظعنِ الحبيبة، ويتكلّمُ عن انتصاراتِ تغلّب على قيس في حروبهما بالجزيرة و

---

*نشر صالحاني هذه النقائض في بيروت سنة ١٩٢٢ عن مخطوطة في الأستانة

ويزعمُ أنُّه لولا هذهِ الانتصارات ما دخلت قيس في طاعة بني أميَّة، ومضى الأخطلُ يهجو قيساً حتّى إذا بلغ من ذلك كل ما يريد، انتقل إلى جرير وعشيرتهِ (كليب) فأقذعَ في هجائها إقذاعاً شديداً بمثلِ قولهِ:

أمّا كليب بن يربوع فليس لهم عند التفارط إيراد ولا صدر*

مخلّفون ويقضي الناس أمرهم وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا**

قوم أنابت إليهم كلُّ مخزية وكلُّ فاحشةٍ سبّت بها مضر***

على العيارات هدّاجون قد بلغت نجران أو حدّثت سوءاتهم هجر****

ومما سبق نستنتج أنّ جريرا كان يتفوّق على خصميه في الهجاء وقد شهد له الاخطل بذلك، إذ قال للفرزدق _بحسب قول الرواة_ (إنّ جريراً أوتي من سير الشعر ما لم نؤته)، وقد عدّهم الرواة والنقاد فحول الشعر في هذا العصر ومبرزيه في الهجاء والمديح.

ويقول الجاحظ: "والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه، ومدحوا فوضعوا من قدر من مدحوا، وهجاهم قوم فردّوا عليهم فأفحموهم، وسكت عنهم بعض من هجوهم مخافة التعرّض لهم، وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبةً بأنفسهم عن الردّ عليهم وهم: جرير، والفرزدق، والأخطل.

---

*التفارط: التقدّم للاستقاء من الآبار. والإيراد: ورود الماء

**يقصد أنّهم لا يستشارون ولا يعبأ بهم

***أنابت: رجعت وتناهت

****العيارات: جمع عير وهو الحمار. الهدج: تقارب الخطو.

الفصل الخامس: الهدف الحقيقي للنقائض

ولعلّ فيما سبق ما يدلّ على أنّ النقائض عند الشاعرين الكبيرين جرير والفرزدق، إنما كان يقصد بها قبل كل شيء تسلية الجماعة العاطلة التي تكوّنت في المدينتين الكبيرتين (البصرة والكوفة) وقد بدأت بأسباب قبليّة ولكنّها تطوّرت إلى مناظرة لملء أوقات العاطلين وهي مناظرة وكانت تقاطع بالتّهليل والتصفيق ومن ثمَّ لم تأخذ شكلاً جادّاً من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب. ولو أنّها أخذت شكلاً جادّاً من هذه الأشكال لشهرت معها السيوف وخاصّةً عندما يأخذ جرير والفرزدق في قذف نساء العشائر والأمّهات والأخوات، أي أنّها لم تعد هجاءً بالمعنى القديم، بل أنّها أصبحت فنّاً يقصد به إمتاع الناس في البصرة وقطع أوقات فراغهم، ولذلك كان الولاة يستقدمون شاعِريِها المبرزين ليتناشدا أمامهم ابتغاء اللّهو والتسلية*، وكل الأخبار تؤكد أنَّ جريراً والفرزدق كانا متصافيين متوادّين لا متخاصمين متباغضين فهما يجتمعان عند الخلفاء والولاة ويرحلان إلى دمشق سويّاً، وإذا نزلت بأحدهما أو حزَّ به أمر وقف الآخر معه يمد له يد العون فإذا طلب جرير الأزارقة تشفّع له الفرزدق **، وإذا هجا الفرزدق خالداً القسريَّ وحبسه تشفّع له جرير عنده*** وما يزال به يستعطفه ويسترحمه لعلّه يلين له قلبه ويطلقه**** ، ونراه حين يلبّى القدر قبله يرثيه رثاءً حارّاً بمثل قوله:

ولا حملت بعد الفرزدق حرّة ولا ذات حمل من نفاس تعلت*****

---

*أغاني طبع دار الكتب ٣٧/٨، ٧٦

** ***أغاني ٤٢/١٩

****الديوان ص١٧٨ زلت: عثرت

*****تعلت: تطهرت

هو الوافد المحبو والراتق الثأى إذا النعل يوما بالعشيرة زلت*

فلم تكن المسألة مسألة هجاء حاد، إنما كانت مسألة مناظرة فنيّة بالشعر في عصبيات القبائل والعشائر، على نحو ما يفعله في عصرنا أصحاب الصحافة الحزبيّة في آرائهم السياسيّة مدافعين مهاجمين وتظل لهم في أثناء ذلك صداقتهم وواضح مما قدمنا أنَّ نقائض جرير والفرزدق نشأت لتلبية حاجة أهل البصرة إلى ما يسد فراغهم ويشغل أوقاتهم ولم يلبث الشاعران أن حققا لهم كل ما يريدون من ذلك، إذ تحولا من بفن الهجاء القديم إلى هذه النقائض الجديدة التي استضاءا فيها بقدرة العقل العربي الحديثة على الجدال والتوليد في المعاني، وإن أي فكرة عندهما كفكرة أن الفرزدق قين أو كفكرة ذل بني كليب فسترى أن كلا منهما يعرض الفكرة التي يقف عندها في صور كثيرة إذ ما يزال يولّد فيها وما زال يستنبط ويفرّع ويشعّب وكأنما يريد أن لا يبقى فيها بقيّة وإذا نظرت إلى أي نقيضة يرد بها أحدهما على خصمه فستراه يقف بإزاء كل بيت قاله صاحبه ويرد عليه صنع المتناظرين من أهل اللّدد والخصومة في المسائل العقيديّة فهو يحاول جاهدا أن يبطل كل فكرة اعتمد عليها خصمه في هجائه وأن ينقضها نقضاً ومما سبق فنحن نرى أنَّ نقائض جرير والفرزدق من جديد وهي ككل فن يتصف بهذه الصفة، سبقتها مقدمات في العصور الأدبية السالفة ولكنّها استوت عند الشاعرين في صورة جديدة وهي صورة معقدة إذ اعتمدت على دراسة التاريخ القديم والحديث للقبائل ودراسة مفاخرها ومثالها كما اعتمدت على استيحاء روح الإسلام وما شاع في هذا العصر على الجدال والحوار وأخذت تظهر فيها ظاهرة لم تكن شائعة في الهجاء القديم وهي ظاهرة التندير على المهجو وقبيلته حتى تضحك المستمعين في المربد وحتّى تمدّهم بما يريدون من التهليل والتسلية والصياح والتصفيق والصفير ومن ثمَّ لم يترك كل من الشاعرين شيئا يثير الضحك إلّا أثاره كأن يقول الفرزدق في جرير:

يهدى الوعيد ولا يحوط حريمه كالكلب ينبح من وراء الدار

أو يقول في كليب:

يستيقظون إلى نهاق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار*

أو يقول:

أتعدل أحسابا لئاما أدقة بأحسابنا إني إلى الله راجع

وكان جرير يلقاه بمثل قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

وقوله:

خذوا كحلا ومجمرة وعطراً فلستم يا فرزدق بالرجال

---

*الأوتار: جمع وتر وهو الثأر

الخاتمة:

وفي النهاية يبقى هناك سؤال محير وهو هل النقائض فنٌّ شعري قام بامتاع الناس وإذهالهم وخلق نوع جديد وجذاب من الشعر أم أنَّه فنٌّ يجب أن يوضع طي النسيان

ولكنَّ هذا يعود إلى القارئ أمّا في رأيي الشخصي فأنا أعتقدأنَّ هذه النقائض هي أجمل ما كتب هذان الشاعران ولولاها لكان هذان الشاعران قد بقيا مجهولي الهويّة.

المصادر:

1_عنوان الكتاب: سلسلة تاريخ الأدب العربي_ العصر الإسلامي.

تأليف: شوقي ضيف. الناشر: دار المعارف. رقم الطبعة: ٢٠

تاريخ الطبعة:٢٠٠٢ نوع التغليف: ورقي عادي عدد الأجزاء:١

عدد الصفحات:٤٩٥ حجم الكتاب: ٢٢ميغا

2_عنوان الكتاب: الأغاني.

تأليف: أبي الفرج الأصفهاني.

الطبعة: الأولى.

مطبعة: دار الكتب المصريّة بالقاهرة

الفهرس

المقدّمة	الصفحة 2
الفصل الأوّل	الصفحة 3
الفصل الثاني	الصفحة 6
الفصل الثالث	الصفحة 8
الفصل الرابع	الصفحة 14
الفصل الخامس	الصفحة 16
الخاتمة	الصفحة 19
المصادر	الصفحة 20
الفهرس	الصفحة 21